PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(12): 444-465
ISSN: 1553-6939

The Islamic Guarantees for Elderly Care and Their Activation in Contemporary Islamic Societies

Yamina Boussaadi[1]
[1]Lecturer, Academic Rank: Fiqh and Usul Al-Fiqh (the foundations of Jurisprudence), Department: Fiqh and Usul Al-Fiqh, Institution: Emir Abdelkader University of Islamic Sciences - Constantine (Algeria).
The E-mail Author: yaminaboussaadi@hotmail.com
Received: 05/2024 Published: 12/2024

Abstract:
This research addresses the issue of elderly care as a prominent challenge faced by contemporary societies in light of demographic and social changes that have led to an increase in the elderly population and shifts in lifestyle patterns.
The study is based on an examination of Quranic texts and Prophetic traditions that have established clear principles for elderly care, whether through enhancing their status in society or providing guarantees to protect them from marginalization and neglect. The research also highlights the moral dimensions of these guarantees, such as valuing and respecting the elderly within families and communities, alongside the material dimensions that include economic and social support provided by families, society, and the state.
Additionally, the researcher proposes a practical vision to activate the Islamic guarantees for elderly care in the modern context. This includes strengthening religious awareness through faith-based education and religious consciousness, improving healthcare services to meet the specific needs of the elderly, and fostering innovation in urban design to create elder-friendly environments that ensure mobility and social participation. Special attention is also given to developing the role of charitable endowments (waqf) as a sustainable funding source to support healthcare and social care centers and provide innovative services for this group.
In conclusion, the research calls for a re-examination of Islamic values related to elderly care and their application in ways that address modern challenges. It emphasizes that Islamic social solidarity is not merely a theoretical framework but a practical system that must be revitalized to ensure a dignified life for the elderly.

Keywords: Elderly care, Islamic guarantees, Social solidarity, Healthcare services, Charitable endowment, Islamic values.

الضمانات الشرعية لرعاية المسنّين وسبل تفعيلها في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(12): 466-488
ISSN: 1553-6939

د. يمينة بوسعادي[1]
[1]جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر).

ملخص:

يُعالج هذا البحث قضية رعاية المسنين باعتبارها تحديًا بارزًا تواجهه المجتمعات المعاصرة في ظل التغيرات الديموغرافية والاجتماعية التي أسهمت في زيادة أعداد كبار السن وتغير أنماط الحياة.

ويرتكز الموضوع على استقراء النصوص القرآنية والسنة النبوية التي أرست قواعد واضحة لرعاية المسنين، سواء من خلال تعزيز مكانتهم في المجتمع أو توفير الضمانات التي تحميهم من التهميش والإهمال. ويبرز البحث أيضا الأبعاد المعنوية لهذه الضمانات، مثل تعظيم قيمة المسنين وتقديرهم داخل الأسرة والمجتمع، إلى جانب الأبعاد المادية التي تشمل توفير الرعاية الاقتصادية والاجتماعية من قبل الأسرة والمجتمع والدولة.

من جهة أخرى، تقدم الباحثة رؤية عملية لتفعيل الضمانات الشرعية لرعاية المسنين في السياق الحديث. ويشمل ذلك تعزيز الوازع الديني عبر التربية الإيمانية والوعي الديني، بالإضافة إلى تحسين الخدمات الصحية بما يتماشى مع احتياجات كبار السن، ودعم الابتكار في تصميم العمران لتوفير بيئات صديقة للمسنين تضمن لهم سهولة التنقل والمشاركة الاجتماعية. كما يولي أهمية خاصة لتطوير دور الوقف الخيري كمصدر تمويل مستدام، بما يسهم في تمويل مراكز الرعاية الصحية والاجتماعية وتقديم خدمات مبتكرة لهذه الفئة.

في الختام، يدعو العمل إلى إعادة قراءة القيم الإسلامية المتعلقة برعاية المسنين وتطبيقها بطرق تعالج تحديات العصر الحديث، ويشدد على أن التكافل الإسلامي ليس مجرد إطار نظري، بل منظومة عملية يجب إحياؤها لضمان حياة كريمة للمسنين.

الكلمات المفتاحية: رعاية المسنين، الضمانات الشرعية، التكافل الاجتماعي، الخدمات الصحية، الوقف الخيري، القيم الإسلامية.

مقدمة

تمثل رعاية المسنين واحدة من القضايا البارزة التي تواجهها المجتمعات المعاصرة، خاصة في ظل التغيرات الديموغرافية والاجتماعية التي أسهمت في زيادة أعداد كبار السن وتغير أنماط الحياة. ومع تصاعد النزعات الفردية وضعف الروابط الأسرية، بات المسنون في كثير من الأحيان يعانون من التهميش والإهمال. وهذا الواقع يفرض علينا تحديات جادة تدعونا إلى البحث عن حلول مستدامة تضمن لهذه الفئة حقوقها وكرامتها.

وانطلاقًا من مقاصد الشريعة الإسلامية التي تجعل الإنسان وكرامته محور التشريعات الإلهية، جاء هذا البحث ليكشف عن الأهمية البالغة لرعاية المسنين وضمان حقوقهم من المنظور الشرعي. فقد قدم الإسلام أنموذجًا حضاريًا متكاملاً لحماية الإنسان في كل مراحل حياته، مؤكدًا أن الكرامة الإنسانية لا تُنتقص مع التقدم في العمر، بل تزداد حاجة المسن إلى الرعاية والاهتمام، مما يجعل من الضمانات الشرعية إطارًا مثاليًا يُحتذى به.

تتمحور إشكالية هذا البحث حول السؤال الآتي: كيف يمكن للشريعة الإسلامية أن توفر الضمانات المتكاملة لرعاية المسنين في ظل التحديات المعاصرة؟ وما هي السبل العملية لتفعيل هذه الضمانات في واقع المجتمعات الإسلامية؟ ومن هذه الإشكالية، تنبثق أسئلة فرعية تتعلق بدور الأسرة، المجتمع، والدولة في تحقيق هذه الرؤية.

ويتناول البحث إضافة -إلى ذلك- أبعادًا مختلفة لقضية المسنين، بدءًا من استعراض التحديات النفسية، الاجتماعية، والمادية التي تواجههم، وصولاً إلى تقديم رؤية إسلامية عملية شاملة. ومن أبرز الإضافات التي يقدمها البحث:

1. **تحليل الضمانات الشرعية** من خلال النصوص القرآنية والسنة النبوية، مع إبراز تطبيقاتها التاريخية في المجتمعات الإسلامية.
2. **ربط التحديات المعاصرة بتعاليم الشريعة الإسلامية**، مثل ضعف الروابط الأسرية الاجتماعية الذي يعاني منها المسنون.
3. **اقتراح حلول عملية معاصرة**، تشمل دور الأسرة في تقديم الرعاية وتعزيز التكافل الاجتماعي من خلال المبادرات المجتمعية، وتطوير سياسات الدولة لدعم المسنين.
4. **طرح النموذج الإسلامي المتكامل**، لإبراز شمولية وفعالية تعاليم ومبادئ الإسلام في مواجهة هذه القضية.

وقد اعتمد البحث على مجموعة واسعة من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع من زوايا متعددة، من أبرزها الدراسات الشرعية التي تناولت أحكام بر الوالدين، والنفقات، وحقوق كبار السن في الإسلام، إضافة إلى دراسات اجتماعية ونفسية ركزت على تأثير الشيخوخة على الإنسان، وأبحاث تطبيقية ناقشت تجارب بعض الدول الإسلامية في رعاية المسنين.

أما أهمية هذا البحث فتكمن في كونه لا يقتصر على الجانب النظري، بل يسعى إلى تفعيل القيم الإسلامية في واقع المجتمعات، ليكون رافدًا يدعم الجهود الرامية إلى تحسين جودة حياة المسنين. فهو دعوة لإعادة إحياء التكافل الإسلامي القائم على الأسرة والمجتمع والدولة، بما يعكس جوهر الشريعة الإسلامية في العناية بالضعفاء والمحتاجين والمسنين.

وختامًا، فإن هذا البحث يمثل محاولة جادة لاستقراء النصوص الشرعية المتعلقة بالمسنين في ضوء التحديات الحالية، مع تقديم حلول عملية مستدامة تسهم في بناء مجتمعات قائمة على الرحمة والتكافل، متوازنة بين الأصالة الإسلامية ومتطلبات العصر الحديث.

المبحث التمهيدي: مفاهيم الدراسة

يتناول هذا المبحث بعض المصطلحات المتعلقة بالدراسة حتى يتسنى للقارئ الوقوف على مدلولاتها، من خلال تتبع معانيها واستجلاء مفاهيمها.

أولا: تعريف المسن

إن مصطلح "المسنّ" من الألفاظ التي درج أهل العلم على استعمالها كلّ في مجاله، وسأكتفي بالمجالات الآتية:

أ. **اللغة**: استعمل اللغويون كلمة " المسنّ" للدلالة على من كَبُرَ سنّه أو دخل مرحلة الشيخوخة، مع اختلاف بينهم في تحديد بداية هذه المرحلة، فجاءت تعاريفهم كالآتي:

- **المسنّ:** " هو من كبر في السن، يقال: أسنّ الرجل، أي: كَبُر وكَبُرت سنّه. وسنّ إنسانا فهو مسنّ وهذا أسنّ من هذا، أي: أكبرُ سنّا منه " [1]. وقد يطلقون " المسنّ " على: الشيخ، والعجوز والمعمّر، والهرم [2] ..

ب. **الاصطلاح الشرعي**: لم أجد -فيما اطلعت عليه- في كتب الفقه من عرّف "المسنّ" تعريفا اصطلاحيا، وإنما عبّر عنه بألفاظ أخرى مرادفة له وردت في نصوص الكتاب والسنة، وهي: الشيخ، المعمّر، الهرِم، أرذل العمر، الشيبة، العجوز، وأكثر تعريفات الفقهاء جاءت متعلقة بلفظ " الشيخ " عند تناولهم لحكم صيام الشيخ الكبير أو عند تقسيمهم لمراحل عمر الإنسان.

- جاء في تعريف داماد أفندي قوله في الشيخ الكبير : " الذي يعجز عن الأداء في الحال أو يزداد كل يوم عجزه إلى أن يكون مآله الموت " [3]، وقال أيضا : " الشيخ من جاوز الخمسين " [4].
- وأما الفخر الرازي فأورد تعريفا للشيخوخة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [غافر: 67]، " أن الشيخوخة هي التراجع إلى الوراء وظهور آثار الضعف والنقص " [5].

ج. **الاصطلاح الطبي:** جاء مفهوم التقدم في السن (الشيخوخة) في نظر منظمة الصحة العالمية مرتبطا بالجانب البيولوجي فحسب، فهو: " نتيجة تراكم طائفة واسعة من أوجه التلف في الجزئيات والخلايا مع مرور الزمن، وهذا يؤدي إلى تراجع تدريجي في القدرات البدنية والعقلية، وتزايد احتمال الإصابة بالأمراض والوفاة في النهاية " [6].

من خلال التعاريف السابقة، يظهر اتفاق الآراء [7] على أن المسنين فئة من الناس بلغوا مرحلة الشيخوخة التي تعتبر آخر مرحلة من حياة الإنسان.

ثانيا: التغيرات المصاحبة للشيخوخة

الشيخوخة طور حتمي في دورة الحياة، والإنسان ليس بمنأى عن ذلك إذا قدر الله أن يعيش إلى تلك الفترة ، قال الله عز وجل: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ [الروم:54]. ومعلوم أن هذه المرحلة تصحبها تغيرات يبدأ ظهورها تدريجيا وتبلغ ذروتها في سنّ الشيخوخة، ومن هذه التغيرات ما يلي [8]:

---

[1]- ابن منظور لسان العرب، مادة " سنن "، 221/3. وينظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب " النون "، 236/4 .

[2]- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ماده " شيخ "، 234/3، ابن منظور، لسان العرب، 391/3 -799/6، الفيروز آبادي، القاموس المحيط 80/2.

[3]- داماد أفندي، مجمع الأنهر، 250/1 .

[4]- المصدر السابق.

[5]- الرازي، تفسير الفخر **الرازي، 75/27.**

[6]- موقع منظمة الصحة العالمية، مقال بعنوان : { **التقدم في السنّ والصحة** }، بتاريخ: 1 تشرين الأول / أكتوبر 2024.

[7]- مع اختلاف في السن التي تبدأ فيه هذه المرحلة لارتباطها بعوامل عدة.

[8]- ينظر: قناري، سيكولوجية المسنين، ص 19، العمران، التوافق النفسي للمسنين، ص45، ميخائيل، رعاية الشيخوخة، ص 199، دفرور، رعاية المسنين في السنة النبوية ، ص 378-379.

1- **التغيرات الجسمية**: يتعرض جسم الإنسان إلى عدة تغيرات مرتبطة بالشيخوخة، وتظهر على المسنّ نحافة بدنه، وتجعد جلده، وثقل سمعه، وضعف بصره، و ترهل عضلاته، وشيب شعره، يضاف إلى ذلك وهن في العظم وضعف في الذاكرة، وانخفاضا في الإدراك، ونقصا في المناعة، ويأسا من النساء، وكثرة في الأمراض، مما يجعله عالة على غيره.
2- **التغيرات النفسية** : إن الوضع الاجتماعي الذي يعيشه المسنّ يجعله غالبا في عزلة عن أفراد أسرته حيث يولد لديه اكتئاب نفسي حادّ يجعله في حالة من القلق والخوف جراء عدم التفاعل معه والانشغال عنه.

وهذا الاكتئاب الذي يصيبه متعدد الأوجه بين اضطرابات مزاجية ناتجة عن الظروف التي يعاني منها من فقدان للشريك، أو بعدالأبناء، أو راجع إلى المتاعب المالية حيث يميل المسنّ إلى الشعور بالتعاسة، وبين اكتئاب عصابي نتيجة ردود الأفعال مثل حالات الخوف. وقد يصاب المسن بحالة اكتئاب شديدة قد تؤدي إلى عدم النوم وفقدان الشهية ونقص الوزن .

3- **التغيرات الاجتماعية**: تصاحب مرحلة الشيخوخة التي تتصل بالحياة الاجتماعية للمسنّ، حيث يعيش في حالة من الفراغ والشعور بعدم الانتماء نتيجة انشغال أبنائه في شؤون حياتهم، بالإضافة إلى تقلص علاقاته الاجتماعية بسبب تقاعده عن العمل ، أو مشاكله الصحية، فيؤثر المكوث في البيت، وينعزل عن المجتمع. وهذا الانعزال عن المجتمع وعدم القدرة على المشاركة فيه والتفاعل مع أفراده، يولّد من الجانب الآخر إهمالا للمسنين، بل نسيانهم وعدم زيارتهم من جيرانهم وأبناء مجتمعهم.

بالإضافة إلى تغيرات أخرى لها أسبابها، تنظر في مظانها من كتب علم النفس وطب الشيخوخة، وإنما اكتفيت بذكر أهمّها.

ثالثا: مفهوم الضمانات الشرعية.

" هي الإجراءات والأحكام، أو الشروط التي وضعها الشارع تعالى من خلال نصوص الكتاب والسنّة، و التي استنبطها الفقهاء لضمان تحقيق الرعاية الكاملة للمسنّين، من خلال حفظ حقوقهم ومصالحهم وحماية كرامتهم، بما يتماشى مع مقاصد الشريعة الإسلامية ".

وهذا التعريف إنما جاء اعتمادا على استقراء عام لمفهوم الضمانات الشرعية من نصوص الشريعة الإسلامية، ومقاصدها الأساسية، كما حدّدها العلماء، وهذا ما سيتم تناوله في الجزئية الموالية.

المبحث الأول: الضمانات الشرعية لرعاية المسنين

إن الناظر في نصوص الشريعة الإسلامية ليلحظ أن مردّ الأحكام والمبادئ فيها متعلق بحماية قدسية" الإنسان" وكرامته في مختلف أطوار حياته، وهي أرسخ ثبوتا في مرحلة الشيخوخة. وهذه الحقيقة لن تتحقق على أرض الواقع إلا من خلال الضمانات الشرعية التي أودعها الخالق في شريعته السمحاء.

أولا: الضمانات المعنوية لرعاية المسنين

اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الشيخوخة مرحلة زمنية حتمية في دورة حياة الإنسان، و هي حقيقة نطقت بها وأكدتها آيات قرآنية عديدة منها قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ [الروم:54].

وهذه التغيرات البدنية والنفسية والذهنية التي تؤثر على مختلف وظائف المسنين وتعرضهم لبعض المشكلات النفسية كالاكتئاب والقلق والخوف... دفعت المجتمعات الإنسانية -على اختلافها- إلى البحث عن منهج ونظام يعمل على تحقيق الرعاية النفسية للمسنين.أما الشريعة الإسلامية فقد جاءت بأصول وأحكام تنفيذية لمعالجة هذه المشكلة والقضاء عليها، وإليك المنهج الذي اتبعته في هذا الجانب.

أولا: تعظيم مرحلة الشيخوخة

يتمتع المسنون بمكانة رفيعة عند المولى عزوجل، وهذه المكانة ترجمت إلى واقع عملي من خلال توجيهات النبي ﷺ لأصحابه ولأمته، يشهد لذلك النصوص الآتية:

أ. عن أبي بكر رضي الله عنه أن رجلا قال: " يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال: من طال عمره و حسن عمله" [1]. فالأحب إلى الله تعالى -كما دلّ عليه الحديث- هو من طال عمره (الشيخوخة) إذا صبر واحتسب على ما أصابه من ضعف وعجز وصاحب كل ذلك عمل صالح بحسب الاستطاعة.

ب. قوله ﷺ : " ألا أنبئكم بخياركم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أخلاقا " [2]، فالنبي ﷺ جعل المسنين خيار الناس في المجتمع وأفضلهم إذا حسنت أعمالهم وأخلاقهم.

ج. وردت نصوص حديثية كثيرة تدعو إلى تقبّل مرحلة الشيخوخة، واعتبار الشيب الذي هو من مستلزماتها علامة من علامات القبول عند الله تعالى ، من ذلك :

- قول النبي ﷺ: " إن الله عزوجل ليستحي من ذي الشيبة المسلم إذا كان مسددا لزوما للسنة أن يسأل الله فلا يعطيه " [3].
- وقوله ﷺ: " من شاب شيبة في الإسلام كتب الله له بها حسنة وكفّر عنه بها خطيئة، ورفعه بها درجة " [4].
- وقوله ﷺ: " لا تنتفوا الشّيب، فإنه نور المسلم " [5].

من خلال ما سبق ذكره، أراد النبي ﷺ أن يغرس في نفس من شاب شعره، وكبر سنه ووهن عظمه روح التفاؤل والرضا، والبعد عن التأفف والتبرم.. ولا يخفى ما في ذلك من توجيه تربوي يعزّز النبي ﷺ من خلاله الجانب النفسي للمسنين.

د. من الأحكام البارزة للشريعة الإسلامية في باب الجهاد؛ النهي عن قتل الشيوخ غير المقاتلين من أهل الكفر، واعتبار من فعل ذلك معتد وآثم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [البقرة: 190].

والاعتداء كما فسره الحسن البصري ونقله عنه ابن كثير يقصد به: " المُثْلَة والغلول، و قتل النساء و الصبيان والشيوخ، الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة .. " [6].

كما وردت عدت أحاديث تؤكد هذا النهي، منها:

---

[1] - أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب سنه، رقم (2330)، و البيهقي في كتاب الجنائز، باب طوبى لمن طال عمره و حسن عمله، رقم (6317).

[2]- رواه أبو يعلى، رقم (3496)، وقال المنذي في الترغيب (625) / إسناده حسن.

[3]- رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم (5286)، و قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، و فيه صالح بن راشد وثّقه ابن حبان، وفيه ضعف، وبقيّة رجاله ثقات (مجمع الزوائد، 10 /149)

[4]- رواه أحمد في المسند، رقم (6672)، وأبو داود في كتاب الترجل، باب في نتف الشيب، رقم (4202).

[5]- أخرجه أبو داود في كتاب الرَجل ، باب في نتف الشيب ، رقم (4202) ، و الترمذي في كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النهي عن نتف الشيب، رقم (1634)، وقال حديث حسن.

[6]- ابن كثير، تفسير ابن كثير، 1/400-401 .

عن علي بن أبي طالب قال: كان النبي ﷺ إذا بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين قال: " انطلقوا باسم الله، فذكر الحديث وفيه: ولا تقتلوا وليدا طفلا، ولا امرأة ولا شيخا كبيرا، ولا تغورن عينا، ولاتعقرن شجرة إلا شجرا يمنعكم قتالا أو يحجز بينكم وبين المشركين، ولا تمثلوا بآدمي ولا بهيمة ولا تغدروا ولا تغلوا " [1].

وعلى هذا المبدأ درج الخلفاء الراشدون بعد وفاة النبي ﷺ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوجه يزيد بن أبي سفيان حين بعثه على رأس جيوشه إلى الشام قائلا: " إني موصيك بعشر: لا تقتل امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا " [2]، والنهي الوارد في هذا الحديث وغيره عن قتال المسنين، إنما جاء توقيرا لسنّهم وإكراما لشيبتهم، وهذا من القيم الإنسانية التي لن تجد لها نظيرا حتى في الوقت الحاضر، فأنت ترى كل ما ورد في المعاهدات والاتفاقيات الأممية من وصايا حول حماية الضعفاء من شيوخ ونساء وأطفال يضرب عرض الحائط إذا هاجت عواصف الحرب، وما غزة عن ذلك ببعيد .

ثانيا: الدعوة إلى توقير المسنين

يحرص الإسلام على صون كرامة الإنسان في كل مراحل عمره، وتؤكد تعاليمه المتجذرة في النصوص الشرعية على العناية الخاصة بتوقير المسنين و تكريمهم، ومن صور التوقير ما يلي:

أ. حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: " جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا » [3]. فالحديث يتضمن تنبيها على أهمية التوقير والتعظيم للكبير، بل جعل من لم يتصف بذلك مخالفا لمبادئ الإسلام وتعاليمه.

ب. روى رافع بن خديج: " أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر فتفرقا في النخل، فقتل عبد الله بن سهل، فجاء عبد الرحمان بن سهل وخويصة ومحيصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ ، فتكلموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمان وكان أصغر القوم، فقال النبي ﷺ : « كبر الكُبر .. قال يحي: يعني ليَلِي الكلام الأكبر » [4]، فقوله ﷺ " كبّر الكبر " أي عظّم من هو أكبر منك سنّا، وما ذلك إلا لفضيلة السن عند التساوي في الفضائل كما قال النووي [5].

ج. عن أبي مسعود البدري قال: " قال لنا رسول الله ﷺ : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة؛ فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنا .. " [6].

وفي حديث آخر أتى رجلان النبي ﷺ يريدان السفر، فقال النبي ﷺ: " إذا أنتما خرجتما فأذنّا، ثم أقيما، ثم ليؤمكما أكبركما " [7].

ومعنى الحديثين أنه ينبغي تقديم الأكبر سنا للإمامة في حال الاستواء في الفضائل، ومعلوم أن الإمامة من أعظم المواقف مسؤولية عند الله تعالى، ولهذا لا ينتدب إليها إلا من أكرمهم الله بعلم أو بسبق هجرة أو بتقدم في السن.

---

[1]- أخرجه البيهقي في كتاب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان و الكبير و غيرهما، رقم (18665).

[2]- رواه مالك في الموطأ في باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، 447/2.

[3] - أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم (4943)، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في رحمة الصغير وتوقير الكبير، رقم (10976)، وأحمد في مسنده، رقم (7073).

[4]-أخرجه البخاري في كتاب القسامة و المحاربين والقصاص والديات، باب القسامة، رقم (1669).

[5]- شرح مسلم، النووي، ص 1276.

[6]- أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم (673)، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة رقم (674).

[7]- أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، رقم (604)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم (674).

د. ومن أوجه التوقير عدم الاستخفاف بالمسنين لقوله ﷺ : « ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط » [1]. ومن مظاهر الاستخفاف بهم، عدم احترامهم والتهكم عليهم والاستهزاء بهم، خاصة إذا صدر منهم تصرف تقتضيه حالتهم الإدراكية أو النفسية أو البدنية.

و أيضا، فإن عدم الرجوع إليهم في المهمات، والاستفادة من خبراتهم المتراكمة، وتجاربهم الحياتية .. يعدّ استخفافا بقدراتهم و إهدار لطاقاتهم، والحديث هنا -كما لا يخفى- عن المسنين القادرين على العطاء.

ثالثا: إجلال الوالدين داخل الأسرة

إن من تعاليم الإسلام ومبادئه السامية برّ الوالدين والقيام بكل متطلباتهما على أكمل وجه، وهذا البرّ أحد مظاهر رعاية المسنين ويلحق بهما أيضا الجد والجدة باعتبارهما ممن يرث ويورّث، حتى ينعم كل واحد منهما بالدفء العاطفي والاستقرار النفسي.

واعتبرت الشريعة الإسلامية رعاية المسنين لذاتها من فضائل الأعمال التي اتفقت عليها الرسالات السماوية، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [البقرة: 83]

وقرنت رعاية الوالدين -وغالبا ما يكونان من كبار السن- بعبادة المولى عزوجل، فقال سبحانه: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ [الإسراء: 23].

أما السنة النبوية فقد حفلت بالأحاديث والتوجيهات التي تعزز من مكانة الوالدين عند أولادهما، حتى أنها جعلت رعاية الوالدين عبادة مقدمة على الجهاد في سبيل الله، وأن رضا الرب على العبد مرهون برضا الوالدين، وأن عقوقهم كبيرة من الكبائر، وهذه نُبَذٌ من الأحاديث الواردة في ذلك:

أ. قال النبي ﷺ : « رَغِمَ أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه، قيل من يا رسول الله ؟ قال: من أدرك والديه عنده الكبر أحدهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة » [2]. فقد جعل ﷺ رعاية الوالدين سببا لدخول الجنة، ومن قصّر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه و كسرها [3].

ب. قرن النبي ﷺ بين رضا المولى عزوجل على عبده برضا الوالدين عليه فقال : « رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد » [4].

ج. جعل الله تعالى برّ الوالدين أفضل من الجهاد في سبيله إذا لم يتعين، تكريما لهما فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحيّ والداك ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد " [5].

د. عن ابن مسعود قال: " سألت النبي ﷺ أي العمل أحبّ إلى الله ؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي ؟ ثم بر الوالدين قال: ثم أيّ ؟ قال: الجهاد في سبيل الله " [6].

---

[1]- رواه الطبراني في المعجم الكبير، 238/8، قال المنذري عن هذه الرواية: " وقد حسّنها الترمذي لغير هذا المتن " (ينظر: الترغيب والترهيب، ص 33).

[2]- أخرجه مسلم في كتاب البرّ والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، رقم (2550).

[3]- النووي، شرح النووي على صحيح مسم، 109/17.

[4]- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم (02).

[5] - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، رقم (2842)، ومسلم في كتاب البرّ و الصلة و الآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم (2549) .

[6]- أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم (504)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (85).

وكل هذه الأحاديث إنما جاءت لغرس طاعة الوالدين وأنها من أعظم القربات، وبيان خطورة عقوقهما إذ جعله النبي ﷺ قرينا بالشرك بالله تعالى، حين سئل عن الكبائر، جاء في حديث أنس قال: " سئل النبي ﷺ عن الكبائر ؟ قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور " [1].

ه. ومن أروع ما جاء به الإسلام في الأمر ببرّ الوالدين، إكرام أصدقائهما ووصلهما بعد وفاتهما أو أحدهما، جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: " أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه، فأعطاه عمامة كانت على رأسه. فقال ابن دينار : " فقلنا له أصلحك الله، إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبي هذا كان ودّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أبرّ البرّ صلة الولد أهل ودّ أبيه » " [2].

وقد بلغ حرص الإسلام ببر الوالدين حتى وإن كانا مشركين مصرّيْن على كفرهما، ما لم يأمرا بمعصية الله تعالى، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: " قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول ﷺ، قلت إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي ؟ قال: « نعم صلي أمك » [3].

رابعا: إجلال المسنين في الحياة الاجتماعية

مما تتميّز به المجتمعات المسلمة عن باقي الشعوب والمجتمعات، القيم الأخلاقية التي تدعو إلى تبجيل المسنين وتقديمهم على غيرهم في كثير من المواقف، من ذلك:

أ. من الآداب الشرعية المتعارف عليها في المجتمع المسلم، ابتداءُ المسن بالسلام، لما ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » [4]، يقول ابن حجر معقبا : " تسليم الصغير لأجل حق الكبير، لأنّه أمر بتوقيره، والتواضع له .. ومراعاة السن معتبر في أمور كثيرة في الشرع " [5].

ب. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أراني في المنام أتسوك بسواك فجذبني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر منهما فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر » [6].

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " كان رسول الله ﷺ يستنّ وعنده رجلان أحدهما أكبر من الآخر فأوحي إليه في فضل السواك أن كبر، أعط السواك أكبرهما " [7].قال الإمام العيني : " وهو السنة أيضا في السلام والتحية، والشراب والطيب، ونحو ذلك من الأمور. وفي هذا المعنى تقديم ذي السن بالركوب وشبهه من الأرفاق " [8].

وقال المناوي معلقا على الحديث : " وفيه أن السن من الأوصاف التي يقدم بها، فيستدل به في أبواب كثيرة من الفقه، ثم يطرد في جميع وجوه الإكرام كركوب وأكل وشرب وانتعال وطيب .. " [9].وقال ابن قدامة :" لأن الأسنّ أحق بالتوقير و التقديم " [10].

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم (2510). ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (87)، (ولم يذكر قتل النفس).

[2]- أخرجه مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب فضل صلة أصدقاء الأب و الأم و نحوها ، رقم (2552) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الهبة و فضلها ، باب الهدية للمشركين ، و قول الله تعالى: ﴿ **لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ [الممتحنة: 8]، رقم (2477). ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة و الصدقة على الأقربين و الزوج، رقم (1003).

[4]- أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، تسليم الصغير على الكبير، رقم (6234).

[5]- ابن حجر، فتح الباري، 357/1 .

[6]- أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر، رقم (243). ومسلم في كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، رقم (2811).

[7]- أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب في الرجل يستاك بسواك غيره، رقم (50) .

[8]- العيني، عمدة القاري، 187/3.

[9]- المناوي، فيض القدير، 193/2.

المبحث الثاني: الضمانات المادية لرعاية المسنين

والمقصود من هذه الضمانات جملة من الأحكام التشريعية التي تحقق ما تهدف إليه الشريعة الإسلامية في مسألة المسنين. وهي في حقيقتها تطبيق عملي منظم لتحقيق الرفعة والكرامة لهذه الفئة من الناس وتنص هذه الضمانات باختصار على ما يلي:

أولا: مسؤولية الرعاية المادية للمسنين في الإسلام

تعتبر مسؤولية الرعاية المادية للمسنين -وخاصة الوالدين- من الواجبات الشرعية التي تتحملها أفراد الأسرة والمجتمع والدولة. ولأن الحديث عن هذا الجانب طويل الذيل، فسأكتفي بتلخيص ما ورد فيه من أحكام فقهية في النقاط الآتية:

1. **النفقة على الأصول (الوالدين و الأجداد و الجدات):**

إنّ أولى القرابة بتحمل النفقة على الأصول المسنين، قرابة عمود النسب، وهم الأبناء المباشرون وهذا باتفاق جمهور الفقهاء [1]، والأدلة على ذلك :

أ. قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ [الإسراء: 23]. وقوله أيضا: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [العنكبوت: 8]. والإنفاق عليهما عند حاجتهما من أرفع مراتب الإحسان.

ب. ويلحق بالوالدين الأجداد والجدات [2]، لأنهما بمثابة الوالدين، كما صرّح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [الحج: 78]، وهو جدّ المخاطبين. وكذلك أطلق اسم الأم على الجدة في قوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**﴾ [النساء: 23]. والجدير بالذكر، أن النفقة على الأصول واجبة على الفروع حتى مع اختلاف الدين، وهذا باتفاق جمهور الفقهاء [3]، لقوله تعالى: ﴿ **وصاحبهما في الدنيا معروفا** ﴾ [لقمان: 15]، فوجبت لحق الولادة.

2. **النفقة على الأقارب المسنين (غير الأصول):**

راعت الشريعة الإسلامية في أحكامها عجز المسنين وضعفهم، والمشقة التي يتكبدونها عند فقد الأبناء أو عجزهم عن الإعالة، فأوجبت على الأقارب مسؤولية الإنفاق والرعاية بمطلق القرابة حسب درجة قربهم من المسن المحتاج إلى ذلك. والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

أ. قوله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ [النساء: 36]. وقوله أيضا: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** ﴾ [الإسراء: 26].

فبالإضافة إلى الإكرام المعنوي والحفاوة العاطفية، ألزم الأمر الإلهي الأبناء بل وسائر الأقارب بواجب الإنفاق على العاجزين والمسنين.

ب. قوله ﷺ: « يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » [4]. فالحديث دليل على وجوب النفقة على الأقارب من غير الأصول عند توفر شروط استحقاقها فيهم [5].

---

[10]-ابن قدامة، المغني، 19/2 .

[1] - ينظر: السرخسي ، المبسوط ، 222/5 ، الزرقاني ، شرح الزرقاني على مختصر خليل ، 259/4 ، النووي ، المجموع ، 291/18 ، المرداوي ، الإنصاف ، 392/9 ، ابن حزم ، المحلى بالآثار ، 266/9 .

[2]- خالف المالكية الجمهور و ذهبوا إلى عدم وجوب النفقة على الأجداد و الجدّات فهي لازمة لابنه ابتداء و لا تنتقل إلى ابن ابنه ، كما أن نفقة أولاد الأولاد لازمة لأبيهم فلا تنتقل إلى جدهم . (ينظر: الزرقاني ، شرح الزرقاني ، 260/4)

[3]- ينظر: السرخسي، المبسرط، 226/5، الكاساني، بدائع الصنائع، 4/ 36، الزرقاني، شرح الزرقاني، 259/4، النووي، المجموع، 297/18. إلا أن الحنابلة أجازوا ذلك إذا خيف عليهم الفاقة، وإلا فالنفقة لا تجب على الأصول عند اختلاف الدين (المرداوي، الإنصاف، 402/9).

[4]- رواه النسائي في كتاب الزكاة، باب أيتها اليد العليا ؟، رقم (2533)، وأحمد في مسنده، 64/4.

ج. عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه قال: " قلت: يا رسول الله من أبرّ ؟ قال: أمك. قال: ثم من ؟ قال: أباك، ثم الأقرب فالأقرب " [1]. فقوله ﷺ، شمل جميع الأقارب سواء أكانوا من عمود النسب أم من حواشيه، " الأقرب فالأقرب " ممّن يحتاج إلى الرعاية المادية وغيرها.

د. قوله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاضدهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى » [2]. والحديث وإن كان متعلق معناه بحال المؤمنين عامة، فإن أكثر الناس حاجة لتوجيهاته الضعفاء والمحتاجين ومن ذلك المسنين.

وبهذا، يتضح أن ما ذكر سابقا من أن الكرامة الإنسانية هي الأساس الذي قامت عليه أحكام الشريعة الإسلامية بشقيها النظري والتطبيقي في مجال الرعاية التكليفية، وضمان الحقوق، والتعامل الإنساني، فتجلّت بذلك قيمة الإنسان المسنّ في المجتمع الإسلامي.

وهذه القيمة المثالية للمسنين في الإسلام ما كانت لتظهر لولا الأسس الثلاثة التي حافظت على هذه الضمانات وهي: **الأسرة، المجتمع، والدولة،** وهذا ما سنتناوله الجزئية الموالية.

المبحث الثالث: أسس تفعيل الضمانات الشرعية لرعاية المسنين

حينما خلق الله هذا الإنسان في أحسن تقويم وكرّمه، ومنحه من القوة والصحة البدنية والنفسية والذهنية ما يؤهله لأن يقوم على خدمة أسرته ومجتمعه فدولته، علم أن هذا الإنسان سيأتي عليه حين من الدهر يفقد فيه تلك القوة على تفاوت بين الخلق.

من هنا، اقتضت حكمة الله ورحمته بالمسنين، ترشيد تظافر جهود الأسرة والمجتمع والدولة لمعالجة أزمة الشيخوخة، مما يفضي في نهاية المطاف إلى التكريم اللائق، وذلك وفق الأسس الآتية:

الأساس الأول: الأسرة المسلمة [3]:

تعتبر الأسرة الضمانة الربانية الأسمى والأرفع لتحقيق الرعاية المثلى للمسنين، بما أودع الله فيها من فطرة تجعل التفاعل العاطفي بين أفرادها تلقائيا دونما حاجة - في الغالب - إلى توجيه أو إرشاد.

والأسرة -كما هو معروف- تتكون من عمود النسب ويمثله الأبوين وأولادهما، ثم يتفرع عن ذلك العمود ما يسمى في الفقه الإسلامي بالحواشي، وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾ [الفرقان: 54].

والإسلام نظم كل العلاقات التي تجمع أفراد الأسرة، وجعل لكل واحد منهم حقوقا وواجبات اتجاه الآخر، ومن ذلك حق الآباء على الأبناء، والأساس المهيأ لأداء هذا الحق إنما هو الفطرة التي قامت عليها الأسرة حتى يكون المسنّ في داخلها محاطا بالرعاية بكل أصنافها:

- **الرعاية الصحية**: حيث تتزايد الحاجة إليها بسبب التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة، فيتابع أفراد الأسرة احتياجات المسن الصحية، كإجراء الفحوصات اللازمة بانتظام، والتأكد من حصوله

---

[5]- تنظر هذه الشروط في كتب الفروع الفقهية.

[1]-

[2]- رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس و البهائم، رقم (6011)، ومسلم في كتاب البرّ والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم و تعاضدهم، رقم (8585).

[3]- ينظر: البوطي، قضايا فقهية معاصرة، 149/1، دفرور، القيم الحضارية في السنة النبوية، ص385.

على العلاج المناسب، بالإضافة إلى إدارة أي مرض مزمن قد يعاني منه المسنّ بكل عطف ومحبة وحرص.

- **الرعاية النفسية:** ولأن المسنّ بحاجة إلى دعم عاطفي ونفسي بسبب الشعور بالوحدة، أو الفقر، أو انعزاله عن المجتمع ... أوجبت الشريعة الإسلامية على الأبناء تقديره واحترامه وإحاطته بمشاعر الحب والحنان، وحذرتهم في نفس الوقت من إظهار أي تبرم أو تأفف له، قال الله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ [الإسراء: 23]، والغاية من هذا التوجيه الرباني حتى لا يشعر الوالدان وقد كبرا في السن أنهما صارا عبئا على أولادهما، وفي ذلك ما فيه من جرح للمشاعر.
- **الرعاية المادية:** جعل الإسلام الرعاية المادية للمسن من طرف أولاده وأقاربه حق خالص له، في ظل معيار شرعي منصف نطقت به الآية الكريمة ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن: 60]. وفاءً لحقه في توفير الحياة الفضلى له، وقد سطر هذا البحث مختلف الضمانات الشرعية -المعنوية والمادية- للمسنّ بما لا يمكن إعادة سرده تجنبا للتكرار.

ومن رحمة الله بخلقه أن أعان الأبناء على القيام بهذا الواجب والنهوض به على أكمل وجه، بأن جعل لهم في الفطرة التي أودعها في كيانهم خير عون وأكبر دافع لأداء هذا الواجب.

الأساس الثاني: المجتمع المسلم [1]:

التكافل الإجتماعي من القيم الحضارية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية؛ فهو التزام أخلاقي مؤسس على الأخوة الانسانية والولاية القائمة بين المسلمين، وإلى ذلك أشار قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: 71].

وعليه، إذا فقد المسن معيلا له من قرابته الذين كلّفهم الشارع برعايته وإعالته؛ إما حقيقة لفقدهم، أو حكما لعجزهم عن القيام بواجب الرعاية، انتقل التكليف عندئذ إلى أفراد المجتمع المسلم. وقد استشرفت الشريعة الإسلامية الحلول الناجعة لمشكلة المسنين خارج كنف الأسرة، فجعلت نصب عينها صياغة توجيهات وإرشادات عظيمة الأجر والثواب، ليتمثل لها أفراد المجتمع بكل حب وطواعية، ومن ذلك:

- جعل المولى عز وجل التراحم خاصية من خواص المجتمع المسلم، فقال: ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾ [البلد: 17]، ووصفهم أيضا بقوله: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: 29].
- جعل النبي ﷺ من صفات المؤمن إعانة أخيه المؤمن في كل أحواله ويتعين ذلك بلاشك في حق المسنين، قال ﷺ: « المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه » [2].
- وحث نبي الرحمة على الرحمة بين الخلق خاصة الضعفاء والمسنّين وغيرهم، وجعلها سبيلا لرحمة المولى عز وجل للعبد فقال:
  - « من لم يرحم الناس لا يرحمه الله » [3].

[1]- ينظر: البوطي، قضايا فقهية معاصرة، 157/1، د. فرور، رعاية المسنين في السنة النبوية ، ص 389 فما بعد.

[2]- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب في النصيحة والحياطة، الرقم (4918) والترمذي في كتاب البرو الصلة عن رسول الله ﷺ(1929) وقال المنذري: " إسناده حسن ". (ينظر: فيض القدير، 252/6).

- « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » [1].

- حثّ النبي ﷺ أفراد المجتمع على خدمة المسنين المحتاجين للرعاية واعتبره تنفيسا للكرب الذي وعد من قام به بتنفيس كربه يوم القيامة فقال: « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » [2].
- كما جعل النبي ﷺ تفريج الهمّ وإدخال السرور على أفراد المجتمع من أفضل الأعمال، ورتّب على ذلك الأجر العظيم فقال: « أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا أو تقضي عنه دنيا أو تطعمه خبزا » [3].

وبالإضافة إلى هذه التوجيها النبوية، شرعت أحكام أخرى تساهم في تحقيق التكافل الاجتماعي منها: الزكاة والصدقة، والكفّارة، والوقف، والوصية، والعارية، والهبة، وغيرها كثير.

وإذا أخذنا أي عصر من عصور التاريخ الإسلامي نجد الوقف للمسنين من أهم وسائل الرعاية الاجتماعية التي ابتكرها الإسلام لضمان العدالة الاجتماعية من خلال تخصيص الأموال والعقارات، لتأمين دور الرعاية لهم، وتخصيص رواتب مالية شهرية لكل فرد منهم، وأيضا تقديم الخدمات الأساسية للمسنين مثل الطعام والعلاج [4].

فلا عجب بعد ذلك، أن تنادي بمثل هذا النظام جميع المؤسسات والنظم والقوانين العالمية لأجل خدمة المسنين ورعايتهم، خاصة وأن أعدادهم في تزايد مستمر، ممّا استوجب التدخل من قبل الدولة ومؤسساتها.

الأساس الثالث: الدولة المسلمة [5]:

رعاية الدولة للمسنين في المجتمعات المسلمة السليمة يجب أن يكون استثناءً وليس ابتداءً، لأن الأصل قيام الأسرة بهذا الواجب، فإن تعذّر فقرابة المسنّ القريبة أو البعيدة، وإلا تعلقت بالمجتمع كما سبق ذكره.

وتقع مسؤولية الدولة في حفظ حياة المسنين وحمايتها من كل ما يتهددها عند غياب الأساس الأول والثاني، بتوفير مقومات الحياة لهم من مطعم وملبس ومسكن وعلاج، مع توظيف أناس للنهوض بخدمتهم وإنشاء مؤسسات ودور تؤويهم كحل جزئي لأوضاعهم، وإلى ذلك أشار الكاساني عند ذكره لأنواع الزكاة التي توضع في بيت مال المسلمين ومستحقيها قائلا: ".. وأما النوع الرابع: فيصرف إلى دواء الفقراء والمرضى وعلاجهم، وإلى أكفان الموتى الذين لا مال لهم، وإلى نفقة اللقيط وعقل جنايته، وإلى نفقة من هو عاجز عن الكسب، وليس له من تجب عليه نفقته ونحو لك، وعلى الإمام صرف هذه الحقوق إلى مستحقيها " [6].

---

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب أقربه رحمته ﷺ بالصبيان والعيال رقم (2319) والبخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ...** ﴾ رقم (6941).

[1]- أخرجه أبو داود في كتاب الادب، باب في الرحمة، رقم (4941)، والترمذي في كتاب البرد الصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب رحمة المسلمين، رقم (1924).

[2]- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلازة القرآن وعلى الذكر، رقم (2699).

[3]- رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (7678)، وشواهده تبلغ من مرتبة الحسن كما نصعلى ذلك ابراهيم الحسني في البيان والتعريف 117/1.

[4]- ينظر: رعاية المسنين في التراث الإسلامي، ص 236 فما بعد.

[5]- ينظر: البوطي، قضايا فقهية معاصرة، 158/1، دفرور، رعاية المسنين في السنة النبوية، ص 392-393.

[6]- الكاساني، بدائع الصنائع، 68/2.

وهذه المسؤولية منوطة بالحاكم في القانون العام للمسؤولية في الإسلام والوارد في قوله ﷺ: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسؤول عن رعتيه » [1]. والسنة النبوية تزخر بتوجيهات سامية للحكام في رعاية الحقوق الشرعية للرعية ومنهم المسنين، ليشعروا بأخوة الإسلام، وكرامة الإنسان الذي أعطى وبذل في شبابه ومن هذه التوجيهات ما يلي:

- قوله ﷺ: « أنا أولى بكل مسلم عن نفسه، من ترك مالا فلورثته ومن ترك دَيْنا أو ضياعا فإليّ وعليّ وأنا أولى بالمؤمنين » [2].

ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما قال ذلك بوصفه إماما للمسلمين ورئيسهم الأعلى، ومنه استنبطت القاعدة الفقهية المتفق عليها " الحاكم وليّ من لا وليّ له ". وكلمة "الضياع " الواردة في الحديث هم الضائعون لفقرهم وعدم وجود معيل لهم، لعجزهم عن السعى على أنفسهم، نتيجة الصغر كالأطفال أو الكِبر كالمسنين " [3].

- حذّر النبي ﷺ الحاكم من التهاون وعدم تعهد الرعية بالقيام بمصالح الناس ومراعاة شؤونهم وعلى رأس هؤلاء العجزة ومنهم المسنين، فقال : « ما من عبد يسترعيه الله رعيّه فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة » .[4] وفي رواية: « ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنّة » [5].

جاء عن القاضي عياض فيما نقله عنه النووي، قوله في الحديث السابق: " معناه بيّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئا من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم ودنياهم " [6].

ومن جهة أخرى، فإن من واجب الدولة توفير مقومات الوعي الإسلامي، بدعم كيان الأسرة في المجتمع، وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، من خلال ممارسة الرقابة الصارمة على نظام الحياة الاجتماعية والقيّم الأخلاقية [7].

المبحث الرابع: سبل تفعيل الضمانات الشرعية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

من خلال ما سبق ذكره من وضع الشريعة الإسلامية للضمانات المعنوية والمادية لرعاية المسنين، والأسس التي أقامتها من أجل ضمان تفعيلها، يظهر بوضوح أن الإسلام يعتبر الكرامة الإنسانية حقا لا ينفصل عن الإنسان، بغض النظر عن عمره أو دينه أو مكانته أو حالته الصحية، وجعل للمسنين خصوصية إضافية إذ يحتاجون إلى رعاية خاصة وتقدير لمكانتهم بسبب ضعفهم و تقدمهم في العمر.

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء: 59].

[2]- رواه الترمذي في كتاب الفرائض، باب ما جاء في من ترك مالا فلورثته، رقم (2090) وقال: " حديث حسن صحيح ". وأحمد في مسنده 2 / 287.

[3]- دفرور، رعاية المسنين في السنة النبوية، ص 393.

[4] - رواه البخاري في كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح رقم (7151) .

[5]- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (203)

[6]- النووي، باب استحقاق الوالي الغاشلرعيته النار ، شرح النووي على مسلم ، 324/2 .

[7]- البوطي، قضايا فقهية معاصرة ،158/1 ، بتصرف.

كما أن الإسلام لا يكتفى بتقديم هذا الحق كواجب فقط على أفراد الأسرة، وانما يجعله مسؤولية اجتماعية يشارك فيها الجميع بدءًا من الأسرة إلى المجتمع ثم الدولة، ورتب على ذلك الأجر والثواب عند رعايتها، أو العقاب عند إهمالها. وما سبق تفصيله في طيات هذا البحث يجلّي لنا مدى قربنا أو بعدنا من الخطر المحدق بالمسنين في مجتمعاتنا الإسلامية

والحقيقة أن الكثير من تعاليم الإسلام تمّ إلغاؤها طوعا أو كرها لأسباب اجتماعية واقتصادية وتربوية وعمرانية.. ممّا أدّى إلى ظهور أزمة المسنين وتفاقمها،إلا أن الرصيد الضخم الذي تزخر به نصوص الكتاب والسنة وما استنبطه العلماء منهما كفيل بتشخيص الداء وإيجاد الدواء، و هذا ما سأفصّله في النقاط الآتية:

أولا: تقوية الوازع الديني:

إن الأساس الذي يقوم عليه الوازع الديني هو الإيمان بالله تعالى، إذ هو الدافع والباعث الذي به يهتدي المسلم إلى فعل الطاعات وترك المنهيات، مع استحضار لما يترتب عليهما من ثواب أوعقاب. فالوازع الديني يكون بمثابة المرشد لسلوك الإنسان مع نفسه ومحيطه، ولا بد لهذا الوازع من إيمان يحمله على العمل وعقيدة توجهه لابتغاء الأجر والثواب، " فإذا هبت ريح الإيمان جاءت بالأعاجيب في الأعمال والأخلاق، ورأى الناس روائع من الشجاعة والعفّة والأمانة وروح التطوع و الاحتساب، ورأوا آيات من العدل والرحمة والمحبة والوفاء، كادوا ينسونها ويقطعون منها الرجاء " [1].

وما تشهده المجتمعات الإسلامية من ضعف في الوازع الديني -على تفاوت بينها- إنما مردّه إلى أسباب عديدة، أذكر منها اختصارا:

أ- **تراجع دور الأسرة في التربية الإيمانية**: إن ضعف الوازع الديني لدى الأجيال الجديدة جاء نتيجة غياب التربية الإيمانية وما تثمره من قيم أخلاقية وسلوكات إنسانية .. تتحمل مسؤوليته الأسرة في المقام الأول. فهي المحضن الأول لتربية النشئ على الإيمان بالله تعالى، وعلى محبته والخوف منه، وهذا ما يجعل النشئ في جميع مراحل عمره يعيش في توازن حيث يفرض عليه ألا يأتي إلاصالحا ولا يقول إلا طيّبا، وهذا ما يعكس إيجابا على سلوكه نحو أخيه الإنسان سيّما إذا كان مسنّا ضعيفا، وبذلك تكون الأسرة قد حققت لهذا النشء كيانا فريدا في سلوكه، وميوله وعواطفه .. يرى في السعي على الغير واجبا أخلاقيا تفرضه عليه تربيتهُ الإيمانية.

ب - **غياب الفهم الصحيح للدين :** ساهم تراجع دور الأسرة أيضا في تربية الأجيال الجديدة على انتشار الثقافة المادية التي تركز على الفردية والاستهلاك، وذلك بسبب تركيز الوالدين على توفير الاحتياجات الأساسية على حساب القيّم الدينية.

ومما فاقم الأمر، تأثير وسائل الإعلام والتكنولوجيا على عقول الشباب من خلال الترويج لنمط حياة قائم على الملذات والمتع الفورية، بالإضافة إلى ضعف المناهج التعليمية التي تعنى بالقيم والأخلاق المستمدة من الدين، وغياب الربط بين العلوم الشرعية والعلوم الحياتية، وأيضا تراجع دور المسجد والمؤسسات الإعلامية و الوقفية في نشر الوعي والتربية.

[1]- الندوي، إذا هبت ريح الإيمان، ص7.

- ✓ **الحلول المقترحة** [1]: ويكون ذلك من خلال:

1. نشر أصول التربية الإسلامية في المجتمع، وبث الوعي الإسلامي السليم في عقول الناشئة ووجدانهم عن طريق الأسرة والمدرسة ومختلف وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، مع تطهير سائر المرافق الاجتماعية والمؤسسات التربوية وأجهزة الإعلام بأنواعها من كل ما قد يتناقض مع تلك الأصول التربوية أو يعكر صفاء الوعي الإسلامي الصحيح، فيحظى المسنّ في ظل هذه البيئة بمكانته وكرامته.
2. إعادة النظر في الخطاب الديني حتى يرقى إلى أداء رسالته في العملية التربوية، من خلال الدروس والخطب التي تستهدف توجيه الفرد والمجتمع على تعديل سلوكهم قولا وفعلا، حتى نصل إلى تنمية المجتمع تنمية شاملة داخل الأسرة وفي المجتمع ككل، وهذا أدعى إلى بناء مجتمع متآلف متضامن متآخ بين أفراده، فلا تسوده الأنانية ولا الأثرة، فالجميع يساند الجميع خاصة الضعفاء ومنهم المسنين.
3. استغلال الإعلام والتكنولوجيا بشكل إيجابي من خلال انتاج محتوى ديني جذاب ومؤثر يناقش أسباب ضعف الوازع الديني وسبل الارتقاء به في حياة الأشخاص والمجتمعات، وبيان دوره الفعال في التعاضد والتكاتف لمواجهة صعاب الحياة.
4. تفعيل دور الأوقاف كمصدر تمويل مستقل لإنشاء تطبيقات وبرامج ومنصات تعليمية من شأنها تقوية الوازع الديني.

ثانيا: تعزيز التكيّف الاجتماعي

إن التغيرات التي تطرأ على المسنين في مرحلة الشيخوخة، يترتب عليها ظهور العديد من المشكلات التي تحدّ من تكيّف المسنّ مع أسرته ومجتمعه، مما يؤثر على حالته النفسية كالاكتئاب والقلق والخوف من المجهول .. ويمكن إرجاع سبب سوء التكيّف الاجتماعي إلى ما يلي:

أ. **ضعف العلاقات الاجتماعية:** يزداد انسحاب المسنّ من الحياة الاجتماعية، ويبدأ بتقليص علاقاته جرّاء عوامل عدّة كانقطاعه عن النشاطات الاجتماعية لعدم تناسبها مع سنّه، أو بسبب فقده لزوجه أو انتقال أبنائه أو اغترابهم، أو بعده عن أصدقاء عمله بعد تقاعده، والاكتفاء بالأصدقاء القريبين كالجيران لضعف بدنه وعدم قدرته على التنقل [2].

ب. **مشكلة الفراغ:** يجد المسنّ أمامه وقتا كبيرا بعد تقاعده ولا يدري كيف وأين يقضيه بعد أن كان يقضي جلّ يومه في العمل. وقد ساهمت المفاهيم الخاطئة حول المسنين في بعض المجتمعات المسلمة بتفاقم المشكلة حين تمّ عزلهم عن الأنشطة الاجتماعية والدينية لعدم قدرتهم على المشاركة، مما عزّز لديهم الشعور بالتهميش و ولّد لديهم مزيدا من الفراغ القاتل.

- ✓ **الحلول المقترحة** [3]**:** وتبدأ من الأسرة التي جعلها المولى عز وجل البيئة الأكثر تأثيرا في تخفيف آثار الشيخوخة، لما لها من دور كبير في مساعدة المسنين على التكيّف الاجتماعي، ثم المجتمع ودوره البارز في احتوائهم ودمجهم بما يتوافق وقدراتهم وذلك من خلال ما يلي:

1. مساعدة المسنّ على ممارسة بعض النشاطات الملائمة لقدراته، وهذا يشجعه على إقامة علاقات جديدة مع الآخرين.

---

[1]- البوطي، قضايا فقهية معاصرة، 162/1 - بتصرف يسير- وينظر: موفق، وسائل رعاية الوازع الديني كمقصد قرآني وأثر اعتباره في فقه الحضارة الإنسانية، ص 16-17.

[2]- قناري، سيكولوجية المسنين، ص 80 -بتصرف-.

- ينظر: البدر، حقوق كبار السن في الإسلام، ص14

2. تشجيعه على الاندماج في بعض النوادي الخاصة بالمسنين، والالتقاء بأشخاص يماثلونه في وضعه، وتحت إشراف فريق متخصص في رعاية المسنين.
3. تشجيعه على تعلم بعض المهارات مما توفره الدولة من إمكانات في ذلك.
4. تشجيعه على تقديم الحلول الناجعة والمشورة المناسبة لحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لحنكته وخبرته التي صقلتها السنين.
5. ملء فراغ يومه بالقيام بأعمال تطوعية في خدمة المجتمع ورعاية الفقراء والمحتاجين، ولقاء أقرانه في مسجد الحي.
6. تشجيعه على القيام بعمل جديد يتناسب مع قدراته، خاصة لدى المؤسسات الخاصة التي تحتاج إلى حنكته وخبرته.
7. إحياء مفهوم "الجيرة الطيبة" بتشجيع الشباب على زيارة المسنين في الحي، والتواصل معهم بانتظام لما ورد عن النبي ﷺ : « ما زال جبريل يوصيني بالجار » [1].
8. إنشاء مشروع "رفقاء الرحمة"، بإعداد شباب متطوعين مدربين على رعاية المسنين امتثالا لقوله ﷺ : « خير الناس أنفعهم للناس » [2].
9. إنشاء دور استراحة إسلامية للمسنين تكون الإقامة فيها مؤقتة من الصباح إلى المساء، تتوفر فيها كل الخدمات التي تساعد المسنين، مع وجود مختصين في الرعاية الصحية والنفسية [3] وهذا من شأنه حل مشكلة الأهالي العاملين في النهار، ومن شأنه أيضا حلّ مشكلة وحدة المسنين القاسية.

ثالثا: تطوير الخدمات الصحية:

تشهد العديد من المجتمعات الإسلامية ضعفا في الخدمات الصحية للمسنين نتيجة تراكمات من سوء التخطيط، وقلة التمويل، وقلة التشريعات التي تلزم الأفراد والجماعات في القطاع الصحي بضرورة توفير الخدمات الصحية للمسنين.

وأهم الأسباب المؤدية إلى ذلك نجملها فيما يلي [4]:

1 - **الأميّة الصحية**: كثيرة هي الأسر المسلمة التي تفتقر إلى المعرفة اللازمة بالتغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة، ممايُنتج عنه عدم السعي إلى تعديل سلوكاتهم على ضوء هذه التغيرات، ولا حتى تعديل بعض الأمور البيتية كالإصلاحات والتغييرات التي تتماشى مع هذه المرحلة، بالإضافة إلى عدم قدرة الكثيرين على تحمل تكاليف الرعاية الصحية للمسنّ.

ومما فاقم من المشكلة ضعف السياسات الصحية لتطوير القطاع الصحي بما يتناسب واحتياجات المسنين، وعدم وجود خطط إدارية تسمح بالتخطيط لاستراتيجيات شاملة تركز على الوقاية قبل العلاج.

2 - **ضعف التمويل**: كثير من الدول الإسلامية تخصّص ميزانية منخفضة للقطاع الصحي مقارنة بالدول المتقدمة، مما أدّى إلى ضعف القدرة على توفير بنية تحتية متطورة مثل المستشفيات الحديثة والمرافق المجهزة..بالإضافة إلى قلّة الأطباء والممرضين المدربين في طب الشيخوخة، وإن وجدوا فإن ضعف الأجور

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم(5668)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم (2624).
[2]- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (13646).
[3]- الراوي، سيكولوجية الشيخوخة، ص 80.

[4]- ينظر: أهمية وحاجة رعاية المسنين في المنزل : Lanalifecare.com ، بتاريخ2023/10/20 .

والمزايا الوظيفية يدفع الكثير منهم إلى الهجرة بحثا عن فرص عمل أفضل، مما يفرغ القطاع الصحي من الكفاءات.

✓ **الحلول المقترحة** [1]: وتشمل الجوانب الآتية:

1- تعزيز التوعية الأسرية بضرورة العناية بصحة المسنّ، ومضاعفة التثقيف الصحي بين أفراد المجتمع حتى يتسنى للجميع إدراك المرحلة التي يعشيها المسنّ والتغيرات التي تطرأ عليه.

2- استحداث تخصص طبي متعلق بطب الشيخوخة، حيث يقوم الأطباء على رعاية المسنين بما يتوفر لديهم من خبرة في علاج الأمراض والمشكلات الصحية المزمنة، والاضطرابات النفسية والعقلية التي تؤثر على المسنين في مرحلة الشيخوخة.

3 - إنشاء صندوق "وبالوالدين إحسانا" من أموال الزكاة والأوقاف للخدمات المعنية بالمسنين كتوفير الأجهزة مثل الكراسي المتحركة، والأسرّة الطبية وتوفير مساعد متدرب أو ممرض لمساعدة الأسرة بالمنزل على رعاية المسنّ، والإسهام في تحمل كلفة التنقل لعلاجه.

4- تعزيز مؤسسة الأوقاف لتمويل البحوث المتعلقة بالشيخوخة، وإنشاء المراكز الاستشفائية المتخصصة بالرعاية الصحية للمسنين.

5- مساهمة وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي في تقديم برامج تؤكد على النوعية الصحية والوقاية من أمراض الشيخوخة على شكل لقاءات مع متخصصين في الصحة والتغذية تبث في أوقات خاصة.

6- التشديد على أهمية تقوية الوازع الديني في التوعية والقيام بالرعاية الصحية للمسنين قربة إلى الله تعالى وابتغاء للثواب الجزيل الذي وعد به المولى عزوجل عباده القائمين على خدمة العاجزين ومنهم المسنّين في القطاع الصحي.

رابعا: تحسين هندسة العمران:

ساهمت الأنظمة العمرانية الجديدة في تفاقم ضعف الروابط الأسرية. ذلك أن انتقال الأسرة من الممتدة إلى النووية عقّد مشكلة المسنين، وزجّ بهم في غيابات العزلة والوحدة في غالب الأحوال، وإليك أهم سببين في ذلك:

أ. **السياسة الإسكانية**: إن " نظام الشقق الصغيرة اليوم والتي آل إليها واقع تلك المنازل الواسعة الفسيحة بالأمس ساهم مساهمة خطيرة في تمزيق شمل الأسرة، وإقصاء الآباء عن أولادهم، وإبعاد المسنين والعاجزين عن أقاربهم الذين كان ينبغي أن يعيشوا في أكنافهم "[2] . ولا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام السعي لإعادة الأسرة الممتدة -وإن كان مرغوباً– لأن تعايش ثلاثة أو أربعة إخوة في منزل واحد مع والديهم لم يعد أمرا واردًا كما كان، إلا أن معالجة هذه المشلكة العمرانية ممكنة إذا وَجدت من المختصين النية الصادقة في إيجاد حلول واقعية تحد من مشكلة الأسرة، وتعود بالنفع على المسنين.

[1]- ينظر: البدر، حقوق كبار السن في الإسلام، ص14.

[2] - البوطي، قضايا فقهية معاصرة، 162/1.

ب.نقص المرافق: تشهد البنية التحتية للبيوت والشقق الحديثة في كثير من المجتمعات المسلمة نقصا في خدماتها، كتجهيزها بالمصاعد، والممرات الواسعة التي تساعد في سهولة تنقل المسنين والوصول إلى الخدمات، أو حتى التواصل مع أقاربهم من خلال تبادل الزيارات أو الخروج إلى المنتزهات .. الخ.

✓ **الحلول المقترحة [1]:** ويكون ذلك من خلال:

1. تصميم بيوت إسلامية "صديقة للمسنين"، عبارة عن مجمّعات سكنية تضم وحدات مخصصة للعائلات الممتدة تناسب الحياة العصرية، وتراعي خصوصية الأفراد.
2. إدراج احتياجات المسنين كأولوية في سياسات التخطيط العمراني عند إنشاء مدن أو مجمّعات تحتوي على ممرات وأرصفة مهيّأة وآمنة للمشي والتنقل لكبار السن.
3. تعديل المنازل القديمة لتصبح أكثر ملاءمة للمسنين من خلال إضافة مصاعد، ومقابض أمان، ومداخل خالية من العوائق، بالإضافة إلى دعم الحدائق والمساحات المفتوحة التي تسهل اللقاءات الاجتماعية بين المسنين من جهة، وأهاليهم من جهة أخرى لتشجيع التفاعل الاجتماعي للمسنّ.
4. دعم شبكات النقل الداخلي بالخدمات الرئيسية حتى تكون مهيأة لتلبية احتياجات المسنين كالمقاعد المريحة، وسهولة النزول والصعود من خلال تزويد الحافلات مثلا بمداخل منخفضة وغير ذلك.
5. استغلال التكنولوجيا الحدثية لتوفير حلول عملية كاستخدام تقنيات المنازل الذكية لتوفير الراحة والأمان، مثل أجهزة الإنذار والأضواء التلقائية، وأنظمة التحكم بالصوت.
6. تحسين إشارات المرور لتفتح وقتا أطول لعبور المسنين الطريق، وإنشاء تطبيقات مخصصة تظهر لهم الطرق الآمنة والمرافق القريبة كالمستشفيات، المحلات، المساجد.
7. ابتكار ساعات ذكية مخصصة لمشكلة ضياع المسنين عند خروجهم من البيت، توصل بهاتف أفراد العائلة أو بالشرطة مباشرة حماية لما قد يهدد حياتهم.

خامسا: تعزيز الوقف الخيري:

شجعت الشريعة الإسلامية الواقفين على تخصيص أوقافهم لصالح الضعفاء والعجزة ومنهم المسنين، امتثالا لقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة: 02]، ولقولهﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا » [2]. " من هذه التوجيهات كانت تقام التكايا والزوايا لصنع الطعام وتوزيعه على الفقراء والمساكين والمسنين، وكان يفرق فيها الخبز واللحم والحساء والحلوى " [3]، بالإضافة إلى المستشفيات ودور الرعاية وغيرها من المرافق.

إلا أن مؤسسة الموقف الخيري في الوقت الحاضر تواجه تحديات متعددة أدّت إلى تراجع دورها الحضاري، ومن ذلك:

أ. **الجهل بأهمية الوقف ودوره الحضاري:** تراجع فهم الأجيال الجديدة لأهمية الوقف كجزء من النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام، ولعلّ مردّ ذلك يكمن في تغييب الوقف عن المناهج التعليمية والدراسات الأكاديمية، بالإضافة إلى قلّة التوعية الدينية حول أهمية الوقف كعبادة تعود بالنفع على أفراد المجتمع - ومنهم المسنين -وعلى الواقف في عاجله وآجله، كما أن الخطاب الديني لا يشجع على الاستثمار في الوقف ممّا أدّى إلى قلّة الوعي بمنافعه.

---

[1]- ينظر: موقع: estraanet.who.int . مقال بعنوان: The WHO Age-friendly Cities fram work ، بدون تاريخ.

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم (5680)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراجم المؤمنين وتعاطفهم وتعاهدهم، رقم (2585).

[3]- الجندي، الإسلام والحضارة، 153/2.

ب. **غياب التشريعات الداعمة للوقف:** معظم الدول الإسلامية لا توجد فيها تشريعات واضحة تدعم الوقف وتنظمه بشكل فعّال، بل هناك دول تفرض ضرائب أو قيود على الوقف ممّا يعيق تطويره. كما أن بعض الأوقاف تدار بشكل غير شفاف، أو لأغراض غير مخصصة له. بالإضافة إلى عدم وجود كفاءات متخصصة في إدارة أموال الأوقاف وتطويرها بما يتلاءم ومتطلبات العصر.

✓ **الحلول المقترحة** [1]**:** إن تفعيل دور الوقف الخيري في المجتمعات الإسلامية يتطلب تبني استراتيجيات عملية وواقعية، وإليك بعضها:

1. تعزيز الوعي بأهمية الوقف من خلال تنظيم حملات إعلامية ودعوية لتسليط الضوء على أهمية الوقف ودوره في التكافل الاجتماعي، مع ضرورة إدراج موضوعات الوقف في المناهج الدراسية لتعريف الأجيال الناشئة بأهميته.
2. العمل على تطوير التشريعات والقوانين المنظمة للوقف لتسهيل إنشائه وإدارته، وضمان حماية الأوقاف من التدخلات غير المشروعة. بالإضافة إلى تقديم إعفاءات ضريبية للمحسنين المساهمين في إنشاء الأوقاف.
3. تأهيل وتدريب العاملين في مجال إدارة الأوقاف على أفضل السبل للوصول بهم إلى الكفاءة والشفافية في إدارة مؤسسات الوقف.
4. تطوير الأصول الوقفية لزيادة إنتاجاتها وعوائدها، واستثمارها في مشاريع تدرّ عوائد مستدامة لدعم احتياجات المسنين.
5. دعوة الأغنياء لوقف أموال تستخدم لتجهيز بيوت ومرافق مخصصة لرعاية المسنين، وإنشاء أوقاف تموّل مراكز صحية متخصصه في علاج كبار السنّ.
6. مساهمة الوقف في إيجاد برامج معينة لرعاية المسنين من خلال تطبيقات إسلامية صديقة لكبار السنّ تسهّل قراءة القرآن والدعاء والاستماع إلى المحاضرات المتعلقة بشؤونهم.
7. تمويل البحوث المتعلقة بطب الشيخوخة بإنشاء مراكز متخصصة لإعداد دراسات تساعد في صياغة سياسات عامة تعزز من جودة حياة المسنّين.

خاتمة

يظهر للقارئ من خلال هذا البحث أن الإسلام قدّم نموذجًا متكاملًا لرعاية المسنين، يجمع بين الجوانب الشرعية، النفسية، والمادية، مما يؤكد عمق اهتمام الشريعة الإسلامية بحقوق الإنسان في جميع مراحل حياته. فالضمانات الشرعية التي رسّختها النصوص القرآنية والسنة النبوية ليست مجرد إطار نظري أو نصوص جامدة، بل هي منظومة متكاملة تجمع بين الحقوق والواجبات، وتهدف إلى ضمان الحياة الكريمة والآمنة لكبار السن، انطلاقًا من مبدأ التكريم الإلهي للإنسان.

وقد بيّنت الدراسة أن هذه الضمانات تعكس شمولية الشريعة الإسلامية وواقعيتها، إذ لم تقتصر على الدعوة إلى البر والإحسان، بل نظمت علاقة المسنّ بأسرته ومجتمعه ودولته. كما شملت أبعادًا مادية ومعنوية واجتماعية تراعي ضعف المسنين وحاجتهم إلى الرعاية والاهتمام. وأظهرت الدراسة أن رعاية المسنين ليست مجرد مسؤولية فردية تقع على عاتق الأبناء، بل هي واجب جماعي تشترك فيه الأسرة، المجتمع، والدولة.

[1]- ينظر: شرف، آفاق الوقف والعمل الخيري، موقع الألوكة: alukah.net ، بتاريخ 2008/12/7، كيفية تفعيل الدور الحضاري للوقف الإسلامي في الأمة ؟، موقع وقفنا: Waqfuna.com ، بتاريخ 2010/01/29.

ورغم ما قدمته هذه الدراسة من معالجة تفصيلية لتفعيل الضمانات الشرعية لرعاية المسنين، فإنها تبقى خطوة أولى في مسار طويل يحتاج إلى جهود مستمرة لتطوير هذا الإطار النظري إلى سياسات عملية شاملة، تستجيب للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة. فعلى الرغم من وجود العديد من القيم الإسلامية المتمثلة في التكافل الاجتماعي والإحسان، إلا أن الكثير منها لا يزال غير مفعّل بالشكل الأمثل في المجتمعات الإسلامية الحديثة، ما يتطلب إعادة قراءة لهذه القيم وتطبيقها في ضوء التحديات الراهنة.

التوصيات

1. **دراسات مقارنة:** توصي الباحثة بإجراء دراسات مقارنة بين النموذج الإسلامي لرعاية المسنين والنماذج الأخرى المستخدمة في دول مختلفة، بهدف إبراز نقاط القوة والتحديات التي يمكن الاستفادة منها في تحسين الممارسات الإسلامية المعاصرة.
2. **البحث في الفقه المعاصر:** دعوة الباحثين في الفقه الإسلامي إلى تطوير اجتهادات جديدة تستجيب لواقع المجتمعات الإسلامية اليوم، خاصة فيما يتعلق بمسؤوليات الدولة والمؤسسات الوقفية في رعاية المسنين.
3. **التوسع في الدراسات النفسية والاجتماعية:** دراسة التغيرات النفسية والاجتماعية التي يمر بها المسنون في ضوء القيم الإسلامية، مع تحليل تأثير الأنماط الأسرية الجديدة على رعايتهم.
4. **إعادة النظر في دور المؤسسات**: تشجيع الأبحاث التي تركز على تطوير دور المؤسسات الوقفية والجمعيات الخيرية الإسلامية في تقديم خدمات مبتكرة للمسنين، مثل إنشاء مراكز بحثية أو تطبيقات تكنولوجية تدعم رعايتهم.
5. **تقويم السياسات العامة**: يُوصى بتقديم دراسات تقويمية للسياسات العامة في الدول الإسلامية المتعلقة برعاية المسنين، مع اقتراح سياسات تستند إلى مقاصد الشريعة الإسلامية ومبادئ العدالة الاجتماعية.
6. **الابتكار في الحلول العمرانية**: دعوة الباحثين والمختصين في الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني إلى استلهام القيم الإسلامية في تصميم بيئات عمرانية صديقة للمسنين، بما يعزز دمجهم في الحياة الاجتماعية.
7. **إنشاء قواعد بيانات علمية**: يُوصى بإنشاء قواعد بيانات شاملة تضم الأبحاث السابقة والتقارير والدراسات المتعلقة بحقوق ورعاية المسنين في الإسلام، لتكون مرجعًا يسهل على الباحثين تطوير دراساتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع:

1. **القرآن الكريم**.
2. **أحكام القرآن**: أبو بكر الرازي، دار الفكر، بيروت: لبنان، ط2، (1403ه-1983م).

3. **أحكام أهل الذمّة**، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، بيروت: دار ابن حزم، ط1 (1418 ه، - 1997 م).
4. **إذا هبّت ريح الإيمان**، أبو الحسن الندوي ، بيروت: دمشق: مؤسسة الرسالة،(2008م).
5. **آفاق الوقف والعمل الخيري**، لبنى شرف، موقع الألوكة، بتاريخ:2008/12/7.
6. **الأدب المفرد**، الإمام البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر، ط3 (1409 هـ - 1989 م).
7. **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، علاء الدين المرداوي، تحقيق: حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1 (1477ه- 1957م).
8. **الترغيب والترهيب**، عبد العظيم المُنذْري،بيروت: دار ابن حزم، ط1،(1422ه- 2002م).
9. **الخراج**، الإمام أبو يوسف، دار المعرفة، بيروت: د.ت، د.ط.
10. **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، (1407هـ – 1987م).
11. **المبسوط**، السرخسي، تحقيق: خليل الميس، بيروت، دار المعرفة، د.ت، د.ط.
12. **المحلّى بالآثار**، ابن حزم، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط.
13. **المجموع شرح المهذب**، يحي بن شرف النووي، بيروت: دار الفكر، د.ت، د.ط.
14. **المعجم الكبير**، الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل: دار العلوم والحكم، (1983م)
15. **المغني**، موفق الدين ابن قدامة، بيروت: دار الكتاب العربي، (1983م).
16. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين الكاساني، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2 (1982م).
17. **تفسير القرآن الكريم**، الإمام ابن كثير، دار الأندلس، ط1 (1416 هـ - 1996 م).
18. **رعاية الشيخوخة**، أسعد ميكائيل، مكتبة غريب، د.ت، د.ط.
19. **حقوق كبار السن في الإسلام**، عبد الرزاق البدر، الرياض ، ط1، (1423ه -2011م).
20. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث، إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، د.ت، د.ط.
21. **السنن الكبرى**، البيهقي، بيروت: دار الفكر، (1417ه- 1997م)، د.ت، د.ط.
22. **سنن الترمذي**، أبو عيسى الترمذي، بإشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، د.ت، د.ط.
23. **سيكولوجية الشيخوخة وموقف الإسلام من كبار السن**، حسن الراوي دار الياقوت، ط1، (2009م).
24. **سيكولوجية المسنين**، قناوي هدى، مركز التنمية البشرية والمعلومات، مصر، ط1 (1987م).
25. **شرح الزرقاني على الموطأ**، محمد عبد الباقي الزرقاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 (1411 هـ).
26. **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل، دار الفكر، بيروت: لبنان، (1401ه-1981م).
27. **صحيح سنن أبي داود**، أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض: ط1، (1419ه-1918م).
28. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، دار الفكر بيروت: د.ت، د.ط.
29. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الدّين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، (1379 هـ).

30. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، (1356ه)
31. **كيفية تفعيل الدور الحضاري للوقف الإسلامي في الأمة ؟** على موقع: waqfouna com، دون تاريخ.
32. **لسان العرب**، ابن منظور، بيروت: دار صادر، د.ط، 1399هـ - 1979م.
33. **مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر**، داماد أفندي بن الشيخ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط.
34. **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي الموصلي، بيروت: دار المأمون للتراث، ط1 (1404 هـ - 1984 م).
35. **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن حنبل، دار الفكر، لبنان. د.ت، د.ط.
36. **معجم مقاييس اللغة**: ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، ط1، (1991م).
37. **موطأ مالك**، مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط.
38. **موطأ مالك**، مالك بن أنس، برواية يحي بن يحي الليثي، إعداد: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت: ط 10، (1408 ه – 1987 م).
39. **وسائل رعاية الوازع الديني كمقصد قرآني وأثر اعتباره في فقه الحضارة الإنسانية**، نبيل موفق، الباحث العلمي،(2022م).
40. **أهمية وحاجة رعاية المسنين في المنزل**، (lanalifecare.com).
41. **The WHO Age-friendly Cities fram work** (estraanet.who.int).